# المنهج التوراتي والتلمودي

## في التعامل الصهيوني مع الآخر

## بين اليهودية والصهيونية العربية

الكتاب: **المنهج التوراتي والتلمودي**
**في التعامل الصهيوني مع الآخر**

الكاتب: **ناصر محمود السهلي**

---

الطبعة الأولى: ٢٠٠٦

**الناشر: دار كنعان للدراسات والنشر**
**دمشق - هاتف: ٦٣٢٨٢٦٧**

**جميع الحقوق محفوظة للمؤلف**

Phone 004520836276
E-mail ayman__200@hotmail.com

تصميم الغلاف والإخراج: **م. جمال الأبطح**

موافقة وزارة الإعلام: ٩٠١٣٩
بتاريخ: ٢٦/ ٩/ ٢٠٠٥

# المنهج التوراتي والتلمودي

## في التعامل الصهيوني مع الآخر

## بين اليهودية والصهيونية العربية

DEN ZIONISTISKE METODISKE TANKEGA
Mellem Torah ، Talmud og dagligdags impelemtering

TALMUD AND TORA
METHOD OF ZIONIST DEALING WITH OTHERS


ناصر محمود السهلي

- عضو الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين
- عضو تجمع أدباء وكتاب فلسطين
- عضو منظمة كتّاب بلا حدود في الدانمرك

# إهداء

إلى الشهداء:

الأطفال:

فارس عودة.. محمد الدرة.. إيمان حجّو

إلى كلّ شهداء فلسطين وأسراها ومناضليها..

إلى الذين يبتدعون النضال بعناد وإصرار...

إلى أنجالي: أميرة.. محمود.. يزيد..

ناصر

# تقديم

كنت شاهداً مثل غيري، على هذا الصلف الصهيوني في معاملة الشعب الفلسطيني بحجّة الدواعي الأمنيّة، فيُجبر الناس على تحمّل أعباء باهظة لا يمكن لبشر أن يتحملها، وأتساءل عمّا إذا كان الهاجس الأمني يصل بعهم إلى هذا الحدّ من الهوس! مما يدفع ساسة الصهاينة لمعاملة الشعب الفلسطيني بهذه القسوة التي تخوّل جندي الاحتلال أن يمارس كلّ أنواع الإذلال على هذا النحو دون تفريق بين طفل يتسلّل إلى مدرسته، ومصلٍّ يحاول اختراق الحواجز لأداء شعائره، وامرأة حامل تضطر للوضع عند حاجز آخر، وشيخ يموت دون أن يتمكّن أهله من نقله إلى طبيب، وأطفال يبحثون عن كتبهم وأشيائهم البسيطة بين ركام منازلهم المدمرة بالجرافات والمتفجرات، أشجار تقلع ومزروعات تُجرف، آلام تقشعرّ لها الأبدان، بينما يستمرّ العالم في لا مبالاته وعدم اكتراثه، مع أنّه يقف بالمرصاد لكلّ ردّة فعلٍ فلسطينيّة، ويندّد بارتعاش الجسد المدمى.

موت يريده جنود الاحتلال لأيّ فلسطيني باعتباره تهديدا لهم، ليس بالضرورة تهديدا آنياً، فبمجرد أن يكون المرء فلسطينياً داخل حدود فلسطين التاريخية أو خارجها في مخيمات البؤس والشقاء، أن يكون فلسطينيا على امتداد مساحات الشتات، فهو مستهدف وهدف مرصود، إنّ رؤوس جنود الاحتلال تُحشى بالفكر الصهيوني التلموديّ الذي تقطر منه الدماء، قبل أن يُطلقوا لاصطياد وقتل هذا الشعب بشتى أنواع القتل.

كنت دائما أتساءل عن الوعاء الفكري الذي اغترف منه هذا الجنديّ الصهيونيّ الذي لم يتجاوز العشرين عاماً ليصل إلى مدينة شفا عمرو ليقوم بأفظع عمل انطلاقاً من اغترافه من ذلك الوعاء، ثم يعقبه مستعمر آخر بعد أيام شرب من المعين الفكري المتعصب نفسه ليطلق نار حقده على عمال فلسطينيين قرب نابلس، وقد سبقهما عامي بوبر وباروخ غولدشتاين وموشي ليفنغر، لا فرق بين فعل هذا وذاك طالما أنّ الهدف هو قتل العربيّ الفلسطيني، ولم يتردد أستاذ هؤلاء المجرمين «مائير كاهانا» في التحريض على ذبح الفلسطينيين أمام شاشات التلفزة، يعجّ مسرح الجرائم الصهيونية بالكثير من الشواهد والتفاصيل الدقيقة التي لا يمكن إخفاؤها مهما حاول هؤلاء الصهاينة التمويه عليها، رغم أنّ الكثيرين في الغرب يبذلون جهوداً حثيثة لتجميل صورة ذلك المسرح وعزو صوره المريعة وتفاصيلها إلى حالة الصراع العربي الصهيوني، أو ردّها بخبث إلى أنّ دولة الاحتلال تعيش حالة خطر دائم بفعل تطرف ورفض العرب لوجودها، وللأسف الشديد فإنّنا نسمع أصواتاً هنا وهناك في عالمنا العربيّ تحيك على المنوال نفسه في تحليلها للأحداث.

إنّ صور التطرف الديني اليهودي في تداخلها بالسياسي الاستعماري، لا تجد الصدى المطلوب عند المتلقّي الغربي، لأنّها بالكاد تصله، وإن حدث ذلك فإنّ التداخل الكبير بين السياسيّ والعقائدي الديني كفيل بجعلها صوراً غير ذات تأثير، بحيث تظهر أدق تفاصيلها السلبية كتهديد لليهود وليس للصهيونية! في المقابل فإنّ أيّ حركة يأتي بها الإنسان العربي والتي تكون في حالاتها العامة ردّاً على استمرار الدائرة الدموية الصهيونية، تجد لها حيّزاً واسعاً من التكرار والتذكير الممجوج والممل إلى حدّ كبير، ككذبة رمي اليهود في البحر، بينما الممارسة على أرض الواقع تدلّ على أنّ من يُرمى في الصحارى ويُطرد من أرضه هو العربيّ ليس اليهودي، فالضحية

هم العرب والفلسطينيون تحديداً، وبفعل الكثير من العوامل المتداخلة، لا ترصد المتابعة الغربية إلا حالات يسيرة من معاناة الفلسطينيين، بينما تُسلط الأضواء على اليهود، جنوداً ومستوطنين، وكأنّهم ملائكة! فيجري سرد كلّ الخلفيات الإنسانية الخاصة بهم بكلّ تفاصيلها لتوطيد فكرة أنّهم ضحايا بسبب يهوديّتهم، ولتجد هذه الفرية لها مكاناً في الذاكرة الغربية، ممّا يعمق حالة الشكّ التي تعتري الإنسان العربي تجاه الغرب عموما، فتجاهل الضحية الفلسطيني لا يعبر إلا عن الصورة النمطية التي زرعتها الصهيونية المتحالفة مع الإنجيليين المتطرفين بفعل القراءة العقائدية للعلاقة الثنائية التي تعمل الصهيونية على تعزيزها لدى الشرائح المختلفة في الغرب عموماً والمجتمع الأمريكي تحديداً.

لقد انشغل أكثرنا في قراءة متاهات الواقع الذي ظلت الحركة الصهيونية تحشرنا في زواياها واكتفينا مجبرين بتحليل الحدث بشكل منفصل عن خلفيته الفكرية بينما هم كانوا ينشغلون بأدقّ التفاصيل التي ترسم فكرنا وحالتنا العامة، فمحاولتي المتواضعة هذه هي جزأ من محاولات عربية لقراءة المكنون الأيديولوجي في المنهج التوراتي والتلمودي للدولة الصهيونية التي تسوق لنا عقداً بعد عقد كالدولة النموذج في شرق أوسط جديد عبر محاولات دؤوبة لتصنيعه بما يتوافق والفكر الاستعلائي الغربي، لتكون الدولة الوطنية مجردة من كل أشكال السيادة والتاريخ الذي يتم بتره من خلال الدعوة للتنصّل من كلّ المكوّنات الثقافية للمنطقة، فتُغلّف هذه الدولة الصهيونية بعلمانية وديمقراطية في الظاهر ودموية وعنصرية استعلائية في الواقع تغرف من تاريخ مزوّر مضى عليه ٣٠٠٠ عامٍ بينما لا يحقّ للعرب الرجوع إلى ٥٧ عاماً مضت على النكبة الفلسطينية، بذريعة الواقعية تارة والخروج من أسر التاريخ تارة أخرى، وبينها أصوات تهدف إلى تعرية العرب، وكشفهم تماماً أمام الفكر الصهيوني المعزز إما بصمت

عربي، يسعى للنجاة الفرديّة المتشبّثة بالسلطة والكرسيّ، أو دعوات عالمية لترويض الفكر العربي بحجّة محاربة الإرهاب والتطرف.

هذه قراءة متواضعة للرّبط بين الفكر التوراتي التلمودي والممارسة اليومية للدولة الصهيونية، لكشف مدى التزوير والكذب الذي تمارسه هذه الدولة باسم الشعب المختار باعتماد الدم والسيف كوسيلتين أساسيتين لإنتاج عقل يهودي يتوافق والرؤى الصهيونية المتحالفة مع الصهيونية المسيحية والصهيونية العربية للوصول إلى التعجيل بقدوم المخلّص، وهكذا يبقى الإنسان العربي أسير حشره في زوايا الدفاع عن مواقفه وتبرير كل خطوة لا يرضى عنها هذا الحلف العلني والخفي، وما أحوجنا ونحن في هذا الزمن الأمريكي التبشيري لأن نقرأ قراءة خارج أقفاص التدجين والترويض الذي يحاولون فرضه على العقل العربي خصوصاً والإنساني عموماً.

# المنهج التوراتي والتلمودي
# في تعامل الصهيوني مع الآخر
# بين اليهودية والعرب المتصهينين

## خلفية عامة

تتكاثر هذه الأيّام الكتابات والدعوات السياسية والثقافية، مطالبة بإعادة صياغة العلاقة بين الإنسان العربي المسلم وتعاليم دينه وإرثه الحضاري والثقافي، بل حتى الدعوة لإعلان حالة طلاق مع آيات قرآنية معينة، وأساليب تربوية يعدّها البعض العربي والغربي سبباً للإرهاب، هذه الحرب المعلنة من خلال التحالف الدولي الذي يكاد أن يحجر على العقل والقلم بتهمة التحريض على العنف، تماماً كما اقترح مؤخراً طوني بلير في آب/ أغسطس ٢٠٠٥، وهو التحريض الذي يحاول كشف ورفض كل عمليات القهر والاحتلالات القائمة والمستندة إلى جملة من الافتراءات والأكاذيب الممنوع مناقشتها حتى لا يُتهم من يثيرها بالتحريض، يبدو وكأن التطرق ولو بطريقة طرح بعض الوقائع التي تكشف أن التطرف الذي يغذي أفعال الصهاينة ومشاريعهم الاحلالية بات أيضاً من المحرمات التي تخيف الناشر والصحيفة وأية وسيلة إعلام، في الوقت ذاته يُسمح فيه للرأي الآخر الإمعان في التركيز الأحادي الجانب على مجموعة معينة من ممارسات من ينتمون إلى العرب والمسلمين، فتهمة التحريض على الكره والعنف وربما معاداة السامية جاهزة للطرق على رأس من يقترب

من تلك المحرمات التي تخترعها قوانين الساسة الغربيين من أمثال طوني بلير ورؤساء أحزاب وحكومات ينتهجون ويتبنون الرؤية الأمريكية لمفهوم التحريض.

إن عدوى مثل تلك السياسات باتت تنتقل أكثر فأكثر إلى سياسات عربية تتفاخر في تسابقها لإثبات أنها أكثر ملكية من الملوك في استهداف العقول والأقلام التي ترفض التوصيف الغربي لمفهوم التحريض بل إن تلك السياسات تتسابق للربط بين أي حدث عنفي صغير ومحاربة الإرهاب!

في مثل هذه الأجواء، التي تعاني فيها السياسة العربية من حالة فساد شامل، تسود حالة كارثية تلاحق حتى ما يدور في العقل من أفكار ومحاولات لإلغاء حالة اتصف بها العربي من شهامة وكرم أخلاق بملاحقة من يمد يد العون للفقراء والمحتاجين ولمشاريع خيرية سواء أكان في فلسطين أم العراق أم أي بؤرة يعاني فيها العربي من حالة الفساد السياسي التي تغرق فيه حتى أذنيها بعض تلك السياسات العربية.

وإذا كانت بعض النصوص الدينية لدى العرب والمسلمين عموما تحثهم على أفعال معينة تَعدُّها السياسة الدولية اليوم جزءاً من عملية التحريض على العنف، فإن تلك الأفعال ليست هي فقط المستهدفة بل إن تلك النصوص يجري التركيز عليها دون النصوص التوراتية التي يجري تجاهلها تماماً وما تشكله من حافز وأرضية وناظم لعمل وتوجه دولة الاحتلال الاسرائيلي؛ بدءاً من شرعنة إقامة «دولة إسرائيل» وليس انتهاءً بقيام مستعمرين بالتسلح بنصوص توراتية لشرعنة عمليات احتلال وقتل الإنسان الفلسطيني وتهجيره من أرضه.

في تقريرها السنوي لمعاداة السامية الذي أصدرته في العام ٢٠٠٤ أكدت القنصلية الأمريكية في القدس المحتلة على نظرتها النمطية لمسألة السامية في خلط عجيب لمفهوم السياسي بالديني وحتى للمفهوم الإثني

للقوميات وتجاهلاً كلياً لمدى العنصرية والاستعلاء القومي الذي يستشري في المجتمع الصهيوني بشكل يلفت انتباه حتى الأعمى، إذ أكد التقرير على الشعور المناهض لإسرائيل المرتبط بالقضية الفلسطينية واسع الانتشار بين السكان العرب في المنطقة، وتضمن صوراً نمطية لا سامية في وسائل الإعلام المكتوبة والإلكترونية، وفي الخطاب العام، والخطب الدينية، وفي النظام التعليمي، إضافة إلى ذلك، كانت هناك بعض القيود المفروضة على قدرة المواطنين اليهود على المشاركة في الحياة السياسية في كل من سورية واليمن[١].

ولم يكتفِ التقرير بتجاهل النظام العنصري القائم في سياسات وممارسات حاخامات الدولة اليهودية ودعواتهم المتكررة للحفاظ على نقاوة الدولة ولو بطرد السكان الأصليين أو معاملتهم معاملة المواطنين من الدرجة الثانية والتضييق عليهم، ناهيك عن احتلال أرضهم واستباحة ممتلكاتهم بستار ديني متعصب ومنتمٍ إلى تاريخ وخرافات منقطعة الصلة بالواقع، بل ذهب التقرير إلى حد تحميل الإسلام والمسلمين مسؤولية معاداة السامية: يعكس المجتمع والتشريعات في جميع دول المنطقة، باستثناء إسرائيل ولبنان، وجهات نظر مجموعة سكانية غالبيتها الساحقة من المسلمين وتقليد إسلامي قوي، وقد ميز سلوك المجتمع والتشريعات أيضاً، في بعض الأحيان، ضد ديانات الأقليات، وقد كانت الجهود الحكومية للحد من مظاهر معاداة السامية أو التأنيب رسمياً عليها نادرة، وقامت حكومات المنطقة بشكل عام بأقل الجهود للتشجيع على تعليم التسامح وعدم التحامل[٢].

أما الحديث الذي رافق المراوغة الصهيونية منذ ١٩٩١ في مدريد والذي حمل أيضاً فتاوى بقتل العرب من قبل كبار الحاخامات والدعوة إلى قتل رابين والعصيان لأوامر الانسحاب من غزة، بل العصيان الذي يبديه حاخامات

المستوطنات والمستوطنون الذين استعمروا الأرض الفلسطينية وفق منطق متطرف جدّاً، ومرتكز على نصوص يعدّها مقدسة لديه وإطلاق مسميات توراتية على الجغرافية الفلسطينية والإنسان الفلسطيني، لهي بالنسبة لأمريكا لم تشكل مؤشرات واضحة على أن الدموية والعنف وأدواتهما، وإن تغيرت تلك الأدوات، إنما تعتمد على نصوص يهودية لا يُطالب الكثيرون بوضعها تحت المجهر كما تُوضع هذه الأيام نصوص المسلمين وأفكار العرب الذين يطالبون بأقل مما تطالبهم به نصوصهم المقدسة تجاه من يعتدي عليهم ومن يخرجهم من ديارهم، واكتفاء مجموعة نخبوية بممارسة ما على الجماعة القيام به، عكس ما لدى حاخامات دولة الاحتلال الذين لديهم نص ديني جاهز يُقدم للمجتمع الاستيطاني لتبرير أي تصرف شاذ وخارج عن الحسّ الإنساني، من حالة تبرير قيام دولة إسرائيل حتى احتلال منزل فلسطيني في القدس وجرف وسرقة أرضه.

ظهرت في الذهنية العربية سراً وعلانية حالة من التسابق نحو البحث عن مبررات لتطبيع الحالة المعرفية بالدولة العبرية في الأعوام التي تلت مؤتمر مدريد، أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٩١، وتحت مسميات الواقعية والعقلانية دون الكثير من التمييز بين الحقيقة التي حملتها تشويهات سنوات طويلة من المواقف اللفظية تجاه هذه الدولة وحقوق الشعب الفلسطيني وحقيقة المواقف العملية للحركة الصهيونية، كنا ومازلنا نتابع تلك الاندفاعات نحو تلك العلاقة.

لم يهتدِ العقل العربي إلى الحقيقة من منظار تفكيره بما يجب أن تكون عليه تلك الحقيقة، بل إن ذلك التسابق حدث دون تدقيق عميق بحقيقة برنامج تلك الحركة الصهيونية التي لم تخفِ أهدافها الاستراتيجية في مواجهة العالم العربي، فحالة التفاؤل والتصفيق التي مارستها السياسة الرسمية العربية المتحالفة مع مثقفي السلطة أو ما سمي في البداية منظري

نظرية النظام العالمي الجديد والعولمة لاحقاً من كتاب وصحفيين ونشطاء أنصتوا دون مقدمات لكل تصريح صهيوني صادر عن أي طرف إسرائيلي بشأن السلام مع العالم العربي، فانبرت ألسنة لجان التطبيع وحتى مشيخة السلاطين هنا وهناك لتقديم تفسيراتها وأحياناً فتاويها لتبرير وشرعنة ذلك التسابق الذي فتح أمام الحركة الصهيونية الكثير من الاختراقات، وسنذكر هنا للدلالة على ذلك شطب قرار الامم المتحدة المتعلق بمساواة الصهيونية بالعنصرية الذي جاء نتيجة التهافت الذي حدث بعيد الحرب الأمريكية الأولى على العراق، بينما لم يكن هناك من مؤشر أمام العرب إلا باستمرار مطالبة الصهيونية العنصرية لهم تصريحاً ورسماً وممارسة على لسان الساسة والحاخامات وبأيدي قوات الاحتلال التي كانت تخرق سيادة العرب جميعا، ليس فقط في القدس التي رددوا أنها قضيتهم المركزية بل بالممارسة العملية، على طول امتداد الأرض العربية.

فرح البعض من العرب لتصريحات الحاخام عوباديا يوسف الذي أكد في العام ١٩٩٦ على إمكانيّة السماح بالتنازل عن مساحات من أرض إسرائيل للأغيار للحفاظ على الدم اليهودي دون أن يتنبّهوا كثيرا لما كان يقصده الرجل، إذ كانوا مشغولين في البحث عن أية نافذة لتبرير ذلك التسابق والتدهور الذي عاشته وتعيشه الحالة العربية، لم يكن منطق العقل في فهم الحقيقة إلا مغيباً ودون عناء البحث عن الحقيقة التي كانت ومازالت تُعرّف عن نفسها لمن أراد التعرف عليها، وعليه ظلت الحالة العربية مندفعة في الدوران في حلقة مفرغة من إيجاد الأعذار والمبررات لتطبيع وتطويع العقل ووضعه في قالب يناسب مقاسات العجز والتوجه الرسمي باعتبار الأعداء «أبناء عم» دون أن يخبرنا أحد كيف لنا ابن عم بولوني وأمريكي وأسترالي وأرجنتيني وروسي..إلخ من هؤلاء القادمين متأبطين التوراة والتلمود بيد والجرافة والدبابة باليد الأخرى بحجة الوعد؟.. وفي هذا السياق كتب ذات

يوم د. جمال حمدان[٣].

إن أغلب كتاباتنا في العربية عن العدو كمعطيات مفروغ منها أو ككم معلوم بدرجة أو بأخرى دون أن تحاول أن تنفذ إلى حقيقة كيانهم وتركيبهم: فالكل يهود أو صهيونيون، والكل يعيشون في كنف الاستعمار وحمايته، والكل أتى بصورة غامضة من نسل يهود الشتات الذين أتوا بدورهم بطريقة ما من سلالة يهود فلسطين التوراة...إلخ. وفي هذا الإطار التجريدي الضيق، أو المتعجل غير المتأني - الذي قد يكون عملياً ومفهوماً في ذاته - تبدو صورة العدو في أذهاننا باهتة عائمة بالغة السطحية، ونبدو أحياناً كما لو كنا نطارد شبحاً! ونحسب أننا لهذا كله بحاجة إلى دراسة علمية محققة تقتنص هذا الشبح، تجسده، ثم تشرحه أصلاً وتاريخاً، جنساً وتركيباً، تطوراً وتوزيعاً..إلخ.

نعود لنقول بأن عقم السياسة عند صناع القرار العربي والذين يدورون في فلكه أدت في كثير من الأوقات إلى تعاطٍ متخلف مع التوجهات الصهيونية التي استطاعت عبر تخطيط ممنهج النفاذ إلى العقل والذهن العربي من خلال حزمة من التزويرات الخادعة خطابياً وإعلامياً بحيث أصبح كل تصريح صادر عن أطراف الحركة الصهيونية والدولة العبرية يؤخذ كحقيقة مطلقة وغير قابلة للنقد في أحيان كثيرة، ومنها على سبيل المثال ذلك الحماس الذي اجتاح السياسة الرسمية العربية، كالتوجه المستمر نحو إقامة علاقة سرية وعلنية مع الدولة العبرية، مع انطلاق ما سُمي العملية السياسية، التي لم يخفِ إسحاق شامير[٤] الأهداف النهائية لتلك العملية التي بدأت في مدريد وواشنطن وواي بلانتيشن وكامب دافيد إلى يومنا هذا... والتي أرادت من خلالها الحركة الصهيونية جرجرة العرب إلى مفاوضات لعشرات السنوات كما جاء على لسان شامير بعيد خروجه من الانتخابات التي أعقبت مؤتمر مدريد.

الكثيرون في العالم العربي لم يأخذوا التوجهات الصهيونية مأخذ الجد، بفعل التعويل على دور أميركي اعتقدوا أنه في طريقه نحو التغير، وبما إننا لسنا بصدد مناقشة الأساليب التفاوضية الصهيونية والعربية بقدر مناقشتنا للأمثلة التي تعبر عن تلك الحماسة التي يكون فيها العقل والإرادة مغيبين لمصلحة القراءات الخاطئة والمخادعة فإننا نأخذ الحاخام عوباديا يوسف كمثل آخر على القراءة العربية القصيرة النظر والمبتورة لمعظم ما يصدر عن العدو المفترض لهذه الأمة.

هذا الحاخام الذي لا يمثل نفسه بطبيعة الحال بل يعبر عن المعسكر الديني اليهودي الواسع النفوذ في الدولة العبرية يتفق مع الكثيرين من الحاخامات الآخرين الذين يقرأون علاقة اليهود بالآخرين قراءة تفيد أنّ دم الأغيار لا قيمة له، إذا ما قورن بالدم اليهودي، وبأن اليهود والأغيار على طرفي نقيض، وحسب هذا الاعتقاد فإنّ هؤلاء الأغيار يريدون قتل اليهود وتدميرهم حسبما يردد الحاخام شاخ، الزعيم الروحي للساسة المتدينين.

حسب تلك القراءة فإنّ المحافظة على الدم اليهودي تشكل نقطة مركزية في إيديولوجية وتفكير تلك الحاخامات وعلى رأسهم عوباديا يوسف الزعيم الروحي لحزب شاس الذي لا يرى ضيراً، للتقليل من خسائر اليهود، في أن تدخل الأحزاب الدينية اليهودية في اللعبة السياسية ترشيحاً وتصويتاً ولا في تنازل إقليمي، فقد ذكر يوسف في مقالة له منشورة في ١٩٩٨ أنّه طالما أنّ اسرائيل عاجزة عن هدم جميع الكنائس المسيحية في الارض المقدسة، فهي عاجزة عن الاحتفاظ بالمناطق... فالقضية هنا لها صلة بتأجيل الهدف طالما أنّ إسرائيل عاجزة الآن عن تحقيق ما تصبو إليه.. واستناداً إلى ذلك يرى عوباديا يوسف أنّه من الممكن لإسرائيل أن تقدم تنازلات في أرض إسرائيل للحيلولة دون وقوع حرب تزهق فيها أرواح اليهود...

لا تختلف هذه القراءة التوراتية عن قراءة الأحزاب الصهيونية الأخرى بما فيها الليكود الذي وصف بعض الرؤساء العرب زعيمه شارون بالرجل الشجاع حين نفذ ما طالبته به التعاليم الدينية بالنسبة للتكاليف الباهظة في غزة.

إن الفكر الديني التوراتي/التلمودي الذي يتَلَمذُ عليه عقل المواطن الإسرائيلي هو من النوع الذي يحمل في طياته الكثير من التطرف تجاه الآخر والقليل من التسامح الظاهر لهدف لم يجرِ تحقيقه بعد، وعليه فلا تبدو فكرة التعلق بالزمن الميسيائي القادم فكرة بعيدة عن الشيوع في أوساط المجتمع الصهيوني، حيث يبقى التعلق بزمن المخلص هو الأساس والمنطلق لتلك المواقف... وعليه ليس غريبا أن نقرأ تلك الأفكار وهي تصدر من أعلى سلطة دينية في إسرائيل، تلك السلطة التي تقول، على لسان يوسف وغيره، إنّ اليهود في الزمن الميسيائي سيكونون أقوى من غير اليهود وسيكون عليهم آنذاك احتلال أرض إسرائيل لطرد جميع الأغيار وهدم الكنائس المسيحية الوثنية وبالنسبة لهؤلاء فطالما أن الزمن الميسيائي لم يأتِ بعد فلا حرج في تقديم بعض التنازل، وهو ما يشكل إيجابية في قراءة الكثيرين من العرب وغير العرب لتلك المواقف متجاهلين عن وعي أو جهل تلك المواقف الحقيقية التي لا تعير وزناً إلا لقدرات اليهود ودمهم، فقد كتب عوباديا يوسف: ليس اليهود في الواقع أقوى من الأغيار، ولايملكون القدرة على طرد الأغيار من أرض إسرائيل لأن اليهود يخشون الأغيار،

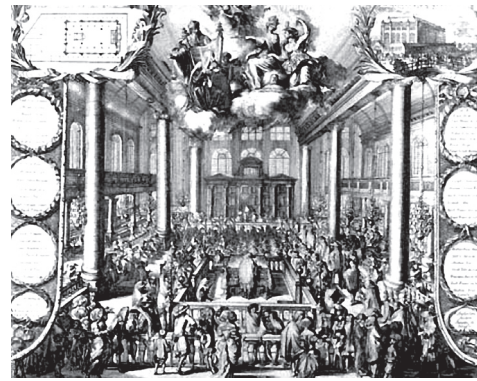

لذلك، وصية الرب لا تصلح الآن، يعيش بيننا الأغيار الوثنيون بلا إمكانية لطردهم أو تحريكهم، رغم أن الشريعة (الدينية) تأمرنا بتدمير الأوثان وخدمها حتى نقتلع جذورها من أرضنا وأية منطقة نستطيع احتلالها، ومن المؤكد أنّ هذه الحقيقة ما زالت تضعف المعنى الديني لفتوحات الجيش الاسرائيلي عام ١٩٦٧[٥].

بالرغم من الحديث عن تلك الإيجابية، التي يراها الساسة العرب وأيضا السياسي الصهيوني البراغماتي، في وضع الدين في خدمة السياسة التي يقوم بها الحاخامات وعلى رأسهم عوباديا يوسف إلا أن وجه الصورة الآخر يجري التغطية عليه أو تجاهله وكأن شيئاً لم يصدر من هؤلاء.

إذ ليس من الغريب أن نسمع ونقرأ صورة العربي والفلسطيني منه تحديداً صورة منحطة في الوصف العنصري على لسان السياسي والديني الصهيوني الذي يُشرعن قتل العربي والفلسطيني... فهذا هو عوباديا يوسف لا يتردد في القول علنا:

**«العرب أشرار، والفلسطينيون أفاعي، والرب ندم على خلقه أبناء إسماعيل هؤلاء العرب،**

ثم أعلن في وقت لاحق مفتياً:

**«يجب أن لا تأخذنا رحمة بالعرب، يجب قصفهم بالصواريخ من أجل إبادتهم ومحوهم عن وجه الأرض.**

ولم يتردد الحاخام إسحق غينزبورغ حاخام المدرسة الدينية اليهودية يوسف حي في تدعيم الاتجاه ذاته الذي يتعامل به الصهاينة مع العرب حين قال:

**إنّ العربي حيواني بطبعه، وقد وصفته التوراة بأنه إنسان متوحش، وهناك فرق بين الدم اليهودي والدم العربي، وإن هذا التمييز موجود في التوراة.**

وأشاد الحاخام نفسه بالمجرم غولدشتاين قائلا:

**إنه بما ارتكبه قام بتقديس الله وإنقاذ الأرواح والانتقام وإحراق الشر، ودعا إلى طرد الفلسطينيين**[٦].

الحاخام دافيد كفيتس حاخام مستوطنة يتسهار الغربية قرب نابلس قال في الاتجاه ذاته: «**إنّ قتل العرب لا يشكل مشكلة أخلاقية**»[٧]..

قال حاييم وايزمن للغربيين عام ١٩٣٥:

**«نحن وأنتم أصحاب الحضارة وأولئك العرب البرابرة يحقدون علينا وعليكم وهم يناصبوننا وإياكم العداء لمجرد تفوقنا الحضاري! ثم مضوا يلمعون هذه الصورة البغيضة عنا مع الزمن حتى أصبحت لصيقة بنا، وكأنها هي حقيقتنا فعلا»!**

إذا كان هذا بعض كلام المراجع الدينية فما بالنا بكلام القادة الصهاينة التاريخيين والحاليين الذين ينهلون من النبع الفكري ذاته في قضية قراءة الأغيار..